والذائدِينَ الناسَ عن أدْيَانِهِمْ بالمَشْرَفِيِّ وبالقَنَا الخَطَّارِ
والباذِلِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ يَوْمَ الهِيَاجِ وسَطْوَةِ الجَبَّارِ (١)

وهو شعرٌ تمتزج فيه القِيمُ الإسلاميَّة ببعض ما هو موروث عن التقاليد الجاهليَّة في المديح . على أن الرُّوح الإسلاميَّة تبدو على نحوٍ أجلى في أبياتٍ يقولها بعد أن أسلم وحسُن إسلامُه وصلُح شأنه ، فركب إلى قومه يدعوهم لمتابعته ، وكان في قومه بعض الخلاف ، إذ أسلم منهم كثيرون وبقي بعضهم على شِرْكه :(٢)

رَحَلْتُ إلى قَوْمِي لأدْعُوَ جُلَّهُمْ إلى أمْرِ حَزْم أحْكَمَتْهُ الجَوَامِعُ
لِيُوفُوا بما كانُوا عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا بِخَيْفِ مِنًى واللَّهُ رَاءٍ وَسَامِعُ
وتُوصَلَ أرْحَامٌ ويُفْرَجَ مُغْرَمٌ وتَرْجِعَ بالوُدِّ القديم الرَّوَاجِعُ
فأبْلِغْ بها أفْنَاءَ عُثْمَانَ كُلَّها وأوْسًا فَبَلِّغْهَا الَّذي أنَا صَانِعُ
سَأدْعُوهُمُ جُهْدِي إلى البِرِّ والتُّقَى وأمْرِ العُلا ما شايَعَتْني الأصَابِعُ
فكُونُوا جميعًا ما اسْتَطَعْتُمْ فإنَّهُ سَيَلْبَسُكُمْ ثَوْبٌ من اللَّهِ واسِعُ
و قُومُوا فآسُوا قَوْمَكُمْ فاجْمَعُوهُمُ وكُونوا يَدًا تَبْني العُلا وتُدافِعُ (٣)

وله قطعةٌ أخرى في غزوة حُنَين والطّائف وفتح مكة ، وفيها يقول :(٤)

---

(١) المِقْنَب : الكتيبة ، خَلَف من الأمطار؛ الخَلَف : ما استخلفت من شيء ، والبدل والعِوَض ، يريد أنهم كرماء جوادون ، المشرفي : السيف ، الخَطَّار : المُرن المُهتزّ . ديوان كعب ، ص ٢٥-٤١ .

(٢) ديوان كعب ، ص ١١١-١١٢ ، ونسب الأصمعي هذه القصيدة لأوس بن حَجَر ، وهو أمر مستحيل ؛ لأن أوسًا كان جاهليًا بغير شك .

(٣) جُلّهم : معظمهم ، الخَيْف : ما ارتفع عن غِلَظ الجبل وانحدر عن مسيل الماء ، والناحية ، يريد : ما تعاقدوا عليه في مِنى ، الجوامع : الأمور ، المُغْرَم : أسير الدين ، أفْناء : أخلاط ، وعثمان و أوس من عشائر مُزَيْنَة قبيلة الشاعر ، وشايعَهُ : تابعه وأيّده وأولاه على الأمر .

(٤) ديوان كعب ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .